

فكاهات

رقائص

الفوز بعد اليأس ^(١)

كان في ضواحي مدينة كلرمون من فرنسا حديقة غناء قام في وسطها قصر مشيد الاركان حسن البنيان يدل على العظمة والترف يقيم فيه رجل من الاشراف يقال له الكنت جيرلد وزوجته وابنة لهما صغيرة يقال لها ماري . وكان الكنت جيرلد من اصحاب الثروة الواسعة فلم يذخر وسعاً في جعل القصر والحديقة فردوساً بهياً فزين القصر بأنفس الرسوم وافخر الرياش ولم يدع صنفاً من اصناف الازهار والرياحين النادرة الا جعله في الحديقة فضلاً عما ربي عنده من الحيوانات الداجنة والاطيار الاليفة . وكان في أخريات الحديقة بيت صغير للكنت ايضاً وهبة لارملة مسكينة هي غسالة لبيت الكنت كانت والدتها قد خدمت بيت والده من قبله ورزق الله تلك المرأة ولداً ذكراً ثم توفي زوجها فوهبها الكنت البيت المذكور لتقيم فيه مع ولدها الصغير ادوار وله من العمر ثلاث سنوات . وكانت والده ادوار تقضي ايامها في خدمة بيت الكنت وتُصحب معها ادوار فيقضي ساعاته في ملاعبة ابنة الكنت ماري والتسلي بلعبها

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

ولم تزل الحالة على ما ذكرنا الى ان ترعرعت الفتاة وحن ارسالها الى المدرسة الا ان والديها لم يكونا ليصبرا على فراقها فاحضرا لها استاذاً ماهراً يدرّسها في البيت وفوضا اليه امر تربيتها وتثقيفها . وكان ادوار يحضر درسها غالباً فكان يحفظ كل ما يسمعه في اثناء التعليم وربما اجاب عن بعض الاسئلة التي كان يلقيها الاستاذ على ماري ولما رأى الاستاذ ما عنده من قوة الذكاء وسرعة الحفظ أعجب به غاية الاعجاب وذكر ذلك مرةً للكنة فقال له لا بأس ان تشركه في الدرس مع ابنتي حرصاً على مثل هذا الذكاء ان يذهب سدّي ومنذ ذاك اخذ يدرّسهما معاً فوجد من كليهما ما سرّ به غاية السرور

ولما طال الامر على ذلك وتمكنت الالفه بين الصغيرين نمت في كليهما جرائم الحب الطاهر وكانا اذا فرغا من الدرس يخرجان الى الحديقة الفسيحة يتنزهان في ارجائها وشب الاثنان على ذوق واحد ورأي واحد واخلاق واحدة فكانت عواطفهما واهواؤهما ونفساهما واحدة في جسمين

ولما بلغ ادوار الثالثة عشرة من عمره شعر في فؤاده بحركة خفية لم يدر معناها حتى كان في ذات يوم جالساً بالقرب من ماري في الحديقة فكانت تكلمه وهو مشرّد الافكار يتأمل في صباحة وجهها وتسلسل شعرها وجمال مبسمها ولطافة تركيبها فعلم ان تلك الحركة التي شعر بها في فؤاده انما كانت ايدياً معنوية تمتد من جانب صدره تلمس الامساك بذلك الملك الطاهر وقد اصبح قبلة امانيه ووجهة آماله . وجعل ادوار يراقب ماري فرأى ميلها اليه لا يقل عن ميله اليها فاشتكى لها ما به واجابته بالمثل فتعاهد الاثنان

ان يحافظا على ما بينهما من الوداد ولا ينحون احدهما الآخر الى المات
ورأى الكنت جيرلده انه لا غنى عن ارسال ابنته الى مدرسة عالية
لاستيفاء الدروس التكميلية فارسلها الى احدى المدارس الكلية وارسل ادوار
على نفقته ايضا الى مدرسة اخرى وكان قد اعجبه تقدم الفتى وتوسم فيه
خيراً . ولم يعلم الحبيبان بالفراق الا قبل حدوثه بدقائق قليلة فودع احدهما
الآخر وداعاً مختصراً ختماه بتجديد عهد الثبات على الحب

وبعد ان مضت عليهما اربع سنوات عاد كل منهما الى مقره وهما في
غاية الغبطة والسرور بعود الاجتماع وكانت الساعة الاولى التي قابل فيها ادوار
ماري من اسعد ايام حياتيه ولكنه ما عثم ان ظهر له الامر على خلاف ما
كان يعد به نفسه لانه لما بلغ مبالغ الشبان لم يعد من اللائق ان يرافق
ماري في نزهتها وباعتبار كونه ابن غسالة لم يعد يمكنه ان يذهب يومياً
لزيرة بيت الكونت لنزول مقامه عن رتبته فصبر على بلواه واقتنع
بالدقائق القليلة التي كان يصادفها فيها عن بعد . ولم يزل كذلك حتى تعاظم
الحب في صدره ولم يعد في امكانه الصبر فجلس ليلة امام والدته واخبرها بما
يقاسيه من الوجد والهيام وتوسل اليها ان تذهب الى بيت الكنت وتطلب
ماري عروساً له . فضحكت والدته منه وقالت له اجداً اتكلم . قال ولم لا .
قالت اياك يا ادوار ان يتخالج في صدرك مثل هذا الفكر واين نحن من مقام
الكنت حتى نطلب مصاهرته وبأي لسان اطلب ماري ان تكون زوجة لك
وهي اذا تزوجت لا تأخذ الا اميراً عظيماً . وكان كلامها يزيد ادوار اصراراً
والحاحاً واخيراً انتصب امامها بهيئة وحشية واخرج من جيبه مسدساً وقال

يجب يا اماء ان تذهبي الى الكنت جيرلد صباح غدٍ وتطلبي ماري عروساً لي وسأنتظرك عند سلم القصر فاذا خرجت يجب ان تعلميني حالاً بما يكون فاذا علمت بقبولهم سررت وسررتك واما اذا علمت انك استولى عليك الجبن ولم تعرضي طلبي عليهم او كان جوابهم سلباً فاعلمي ان رصاصة واحدة من هذا المسدس تحمد انقاسي وترميخي من حياة لا اجد لي فيها لذة ولا سروراً . ان هذا ما صممت عليه ولن احول عنه فلا تجتهدى باقتاعي وموعدا صباح الغد . ولما قال هذا دخل الى غرفته واغلق الباب . اما والدته فلبثت ذلك الليل لا تهدأ افكارها ولا يغمض جفناها فقضت ليلتها في البكاء اسفاً على ولدها لانها كانت على يقين من ان طلبته لا يمكن ان تجاب وجعلت تبتهل الى الله ان يغير افكاره

وما اشرقت شمس الصباح حتى استيقظ ادوار فايقظ والدته وهي متناومة واحل عليها فلبست وسارت الى القصر وهو يتبعها عن بعد حتى صعدت السلم وجعل هو ينتظرها والمسدس في يده كما قال في الليلة السابقة . اما والدته فدخلت القصر وهي ترتجف خوفاً ويأساً وراها الكنت في حالة الارتباك فجعل يسألها عما بها ولم يمكنها الكلام فتساقطت دموعها . فاحاط بها الكنت وزوجه والزماها ان تخبرها بما اصابها فقصت عليها الامر وهي تبكي وتنتحب . فضحك الكنت قليلاً ثم فكر طويلاً وقال لها انني اميل الى ادوار واجبة كولدي فقد آنست فيه جميع الصفات التي احبها وانا اود ان يكون عروساً لماري لاني لا يهمني ان اجد لها زوجاً غنياً فهي ليست في حاجة الى ذلك . لكن قبل ان اعدك وعداً باتاً يجب ان نعرض الامر على

ماري فان كانت هي تجبه ايضاً وتوافق على طلبه فليس عندي من ذلك مانع . ثم التفت الى زوجته وقال وما رأيك يا عزيزتي . قالت انا على ما ترى ايها العزيز وكل ما وصفت به ادوار فانا اعتقده تمام الاعتقاد . فاستدعى الكنت ماري وقص عليها الحديث فاجابه من احمرار وجنتيها وخفقان قلبها ما دله صريحاً على ما في نفسها ثم جثت امام والديها وقالت أجل اني احب ادوار كثيراً ولكني احب رضا كما اكثر فاذا لم يكن عندكما مانع من ذلك فليس احب الي من ادوار بل لن اميل الى سواه . ولا تسأل عن سرور الارملة المسكينة بما جرى حتى اوشك ان يغمر عليها من شدة السرور . فقال لها الكنت اذهبي اذاً وبشري ادوار وارسله الى هنا فانا اود ان اقبله . فما صدقت المسكينة ان سمعت هذا الكلام حتى اندفعت تقبل يدي الكنت والكنته وخرجت مسرعة لتبشر ولدها وهي لا تكاد تصدق ما جرى . ولما ابصرها ادوار من بعيد قرأ في وجهها علامات الفوز فاودع المسدس في جيبه وقابلها باسمها فاخبرته بما كان فاسرع الى داخل القصر وحيّاً بالاحترام والوقار وجعل الكنت يجاذبه اطراف الحديث ويعجب بحسن كلامه ودماثة اخلاقه وكمال آدابه ثم صرّح له برضاه عن خطبته لماري . وكان ادوار قد استحضر خاتمين على كل منهما اسم احدهما فألبس ماري خاتماً ولبس الثاني ثم جثوا امام والديها فاقسما على الامانة والاخلاص وباركهما الوالدان . وبعد ذلك استدعى الكنت ادوار الى غرفته وقال له لست انكر ايها العزيز ان لدي من الاموال ما يضمن لك ولماري عيشة هناء وسرور الى ما شاء الله ولكن الانسان لا يدري ما خبأ له القدر فاذا قدّر

لا سمح الله ان عبثت بأموالي يد الذهر تقعان في شدة وضيق وعليه وبما
انكما لا تزالان صغيري السن ولا بأس من انتظاركما مدةً بعد فانا ارى ان
اعطيك مبلغاً من النقود فتسافر الى حيث تشاء وتتاجر به مدة سنة ثم تعود
وتربني ما تكون قد فعلت وبهذا تكون قد رجحت لك مالا بكذك وتعبك
وتعلمت التجارة لتستعين بها اذا دعتك اليها الحاجة . وكان ادوار بعد خطبته
لماري لا يقدر حساباً لشيء فقبل مشورة الكنت في الحال واستعد للسفر ولما
جهز لوازمه اعطاه حموه القين من الدنانير فودع الجميع وسافر على بركات
الله . وقصد ادوار مدينة بردو فتاجر فيها بالخمور وما مضت عليه ستة اشهر
حتى تضاعف رأس ماله ثم جدد اشغاله الى نهاية السنة فتضاعف ايضاً .
ولما رأى تزايد ربحه عزم ان يوطد مستقبلاً لنفسه بيده ولا يعتمد على ثروة
حميه فكتب اليه يقول اني مرجع لك ألفي الليرة التي استلفتنيها فقد رزقني
الله اضعافها واني اود البقاء سنة اخرى لاني آسف على ضياع هذه الارباح
التي امامي . ثم كتب لخطيبته ماري ووالدته بالواقع وصمم على البقاء

وكان في ذات يوم ان زار الكنت في قصره المركزي لامورلين وهو اذ
ذاك وزير الخارجية وكان المركزي ارملاً قبيح الصورة قصير القامة كبير الانف
صغير العينين وله شدقٌ يمتد الى قرب اذنيه تحيط به لحية بيضاء
مسترسلة ولم يكن فيه من الحسنات سوى انه يملك اربعة ملايين من
الليرات وله اليد الطولى والكامة النافذة في الحكومة . قلنا انه زار الكنت
لقضاء بضعة ايام عنده فاكرم الكنت وفادته وجعل يجهد نفسه في مسرته
ورأى المركزي ماري فافتن بجملها واحبها وفي نفس الليلة كلم اباه في شأنها

ووعده ان هو ازوجه منها ان يملأ صدره بأوسمة الشرف ويجعله مشيراً في المملكة . وخطر للكنت لأول وهلة ان يخبر المركيز بخطبة ماري ولكن حب الرفعة وخوف العار ان هو اخبره انها مخطوبة لابن خادمته حملة على ان يكتم الامر وبهر نور الوسامات نظره فوعده المركيز بابنته . ولما علمت ماري ووالدتها بذلك قامت قيامتهما فأعولتا وبكتا وما كانت دموعهما وتوسلاتهما الا لتزيد حنق الوالد وشراسته حتى تهدد ابنته بالقتل ان خالقتها . وفي المساء اجبرها على الجلوس بجانب المركيز ومحدثه فكانت كلما نظرت اليه وتصورت جمال ادوار تسود الدنيا في عينها . ولحظ المركيز انقباضها منه فسأل والدها فقال له انها مستحبة لانها لم تعتد بعد محادثة الرجال . وبعد ان صرف المركيز بضعة ايام برح القصر عائداً الى باريز وقد وعد ان يعود بعد اشهر قليلة للاقتران بماري . ثم اخذ يزف الى الكنت الوسام بعد الآخر ويكثر من الهدايا الثمينة والتحف للكنة ولما رى غير ان هذه ما كانت لتعباً بهذه الهدايا وهي تفكر في كيف تتخلص من هذه الورطة وتطالب الموت ليريحها من الاقتران بالمركيز . كل ذلك وادوار لا يعلم بشيء مما جرى لانه لم يجسر احد ان يخبره

ولما مضت الاشهر التي عينها المركيز قدم الى كلرمون مساء ذات يوم وطلب ان يقترن بماري في الغد . ولما علمت ماري بذلك اصابتها حمية شديدة فكانت لا تعي شيئاً ولما حان وقت الاكليل اقتادها والدها بيدها الى امام المذبح الى جانب المركيز فلم تفق الا والكاهن يسألها هل تقبل المركيز زوجاً لها . وتحققت اذ ذاك موقفها فصاحت كلا كلا لا اريده بعلاً لي

ثم ارتعشت وسقطت على الارض فاذا هي جثة باردة . فلما رأى الحضور ذلك
اصابتهم دهشة شديدة وجعلوا يمطرون لعناتهم على قلب ذلك الوالد القاسي
الذي اعمى بصيرته حب الذهب وفهم المركز الامر فركب عربته توتاً عائداً
الى باريس وهو يلعن الكنت . اما جثة ماري فبقيت في الكنيسة بلباس العرس
حيث اجتمع حولها والدتها ووالدها وبعض الاصدقاء يبكونها ويتأسفون على
شبابها . وقيل المساء حملت الجثة الى المدفن فواروها في التراب ثم انصرف
القوم عن قبرها وهم يستمطرون لها الرحمة بعد ما سقوها وابل الدموع
ولما خيم الظلام وساد السكون وقد ظهر القمر يبعث اشعته الضعيفة
على تلك البقعة اذا بشخص قد تسلل بين الاشجار الكثيفة وجعل يسير
متمهلاً ويصني بانتباه ولما تحقق خلوا المكان اسرع الى الالحد الحديث وجثا مصلياً
ثم نهض وجعل يحفر التراب بيديه الى ان بان النعش ففتحه ووقع نور القمر
على وجه الميتة فوقف الشخص يتأمل فيها . ثم اندفع من صدره انين عميق
وانطلق لسانه فقال يعز علي ان اراك ميتة بعد ما كنت احاذر عليك محاذرتي
على روحي وكانك اردت تخفيف حزني فلم تموتي حتى حنث بيمينك
وجرعتي مرارة الحياة قبل ان تجرعتي مرارة فقدك . اني فتحت لحدك ليس
لا ودعك فانك لا تستحقين الوداع ولكن لا خذ من يدك خاتماً عليه اسمي
فاني لا اسمح ان تلبسيه وانت قد حنث بيمينك التي جعلته شاهداً عليها
وكان المتكلم كما عرف القارئ هو ادوار فانه بعد ان اتم تجارته وربح
الارباح العظيمة فوَّض اشغال محله الى وكيل وعاد الى كارون ورأى ان
لا يخبر بقدمه مفضلاً الوصول بغتة فلما بلغ كلرمون رأى الجمع يدخلون

المقبرة فسأل بعض المارة فاعلموه بزواج ماري وموتها فتبعهم الى المدفن
واختفى ريثما خرج الجميع ففعل ما ذكرنا ولما اتم كلامه انحنى فاخذ يد الجثة
اليمنى ليخرج منها خاتمته فتعذر عليه اخراجه وجعل يفكر هل يكسر الخاتم
او يقطع الاصبع ثم قال لا ان خاتمي لا يفصل فهو قطعة واحدة اما انت
فقد اشركت في الحب ثم اخرج من جيبه سكيناً حاداً وبدأ يحز الاصبع
واذا بقطرات دم تسيل من الجرح فارتعش ادوار ولبث مبهوئاً كمن مسه
الجنون وبعد هنيهة عاد اليه رشده فامسك الفتاة واخرجها من النعش فلقاها
على الارض وكان الدم يزداد خروجاً من اصبعها ثم رأى صدرها ينخفض
ويرتفع فأخذ يستعمل ما بوسعه لايقاظها حتى افاقت قليلاً فقالت أماه أين
أنا . دعيني اموت ولا أرى وجه المريكز ثم عادت الى غيوبتها . فاحتال ادوار
على ان فتح باب المقبرة ثم حملها بين يديه حتى خرج بها الى الخارج وأغلق
الباب ثم اكرى عربة ونقلها الى نزل قريب واستدعى طبيباً لمعالجتها فلما
فحصها الطبيب وجد ان ما أصابها نوبة عصبية شديدة على اثر انفعال عظيم
فأخذ يماثلها حتى افاقت تماماً فكان أوّل كلمة قالتها آه ادوار

ولم تدر ماري محل وجودها ولا ما اوصلها الى ذلك المكان فستر عنها
ادوار الامر في تلك الحال مخافة ان يؤثر الرعب فيها اذا تصوّرت ما كانت
فيه ثم اخذ يسألها عما كان في مدة غيبته فأخبرته بكل ما حدث ولما تعافت
احضر كاهناً الى النزل فعقد له عليها وأصبحت ماري زوجة شرعية لادوار
كل ذلك ووالدا ماري في أشدّ الحزن على فقدها ووالدة ادوار تفكر ماذا
يحدث بولدها متى رجع او بلغه الامر . وبعد بضعة ايام دخل ادوار على

والدته فمجبت من قدومه بدون سابق علم وبعد السلام قال يجب ان اذهب توّاً الى بيت حمي وأرى ماري . ففعلت والدته تقنعه ان لا يفعل في ذلك اليوم فأصرّ وذهب وأصبح ماري معه ولما بلغ القصر دخل وحده وبقيت ماري خارجاً في العربة . ولما دخل رأى الكنت وزوجته جالسين يكيان خفاً وسألها عن سبب حزنهما وأين ماري . فجثا الكنت امامه وقال عفواً يا عزيزي ادوار اصفح لي فقد قتلت ماري بيدي ثم اخذ يقص عليه الواقعة ويطلب منه الصفع . اما ادوار فقهقه ضاحكاً وقال ذلك ما كنت اظنه بكما فقد علمت ان الغنى لا يكفي لجعل الانسان صادقاً في وعده ولذلك فاني قد تزوّجتُ وستصل زوجتي عن قريب وتريانها وقد كفاني الله غدركما واما اتما فحسبكما جزاءً اغتراركما بالمركيز وخياتكما لي مما سيعقبكما حزناً دائماً يتبعكما الى القبر . واذ ذاك فُتح الباب فدخلت فتاة على وجهها نقاب فاستقبلها ادوار ثم عرفهم بها انها زوجته وبعد ما حيّت جلست تجاه والدتها ولم ترفع نقابها وأخذ الجميع يتحدثون وأدوار يؤنب الكنت والكنتنة على عملهما ولما شفى صدره منهما اشار الى ماري فرفعت نقابها وحالما وقع نظر والدتها عليها صاحت صيحة عظيمة وسقطت مغشياً عليها واما الوالد فوقف مبهوتاً وقد جحظت عيناه ولم يدرك في حلمٍ هوام في يقظة وبعد ذلك اطلعها ادوار على ما حدث وشاع الخبر في المدينة فتعجب الجميع من هذا التدبير الرباني الذي لم يحرم ادوار حبيبته فجددوا الافراح وعاش ادوار وماري مع بقية الأسرة في اتمّ الخير واكمل السرور